

الرسول مبلغ عن ربه



obeikandi.com

الرسول ﷺ مبلغ عن ربه

يقول الله - تعالى - مخاطباً عبده ورسوله محمداً ﷺ باسم الرسالة،
وأمرأ له بإبلاغ جميع ما أرسله الله به :-

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۗ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۗ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (١)

وقد امتثل ﷺ ذلك، وقام به أتم قيام.

قال البخاري عند تفسير هذه الآية:

عَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - قَالَتْ: « مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ كَتَمَ شَيْئًا مِمَّا أُنزِلَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَقَدْ كَذَبَ، وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۗ... الآية ﴾ (2).

وفي الصحيحين عنها - أيضاً - أنها قالت:

« وَلَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ كَاتِمًا شَيْئًا مِمَّا أُنزِلَ عَلَيْهِ، لَكُتِمَ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ (3) ». (1)

(1) المائة: ٦٧.

(2) البخاري: كتاب التفسير.

(3) الأحزاب: ٣٧.

قَالَ الزُّهْرِيُّ: « مِنْ اللَّهِ الرَّسَالَةُ، وَعَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْبَلَاغُ، وَعَلَيْنَا التَّسْلِيمُ » (2).

وقد شهدت له أمته بإبلاغ الرسالة، وأداء الأمانة. واستتطقتهم بذلك في أعظم المحافل، في خطبته يوم حجة الوداع، كما ثبت في صحيح مسلم، عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال في خطبته يومئذ:

« وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ ۙ »
قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ، وَأَدَّيْتَ، وَنَصَحْتَ.
فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ - يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ، وَيُنْكَثُهَا إِلَى النَّاسِ -:
« اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ » (3).

﴿ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ يعني: إن كنتم آية مما أنزل إليك من ربك، لم تُبلِّغ رسالته.

إن الرسول ﷺ - وهو يُبلِّغ ما أنزل إليه من ربه - يواجه بهذا الحق من ربه ما استحوذ على الناس من إيمانٍ بالباطل، وكفرٍ بالله « وَمَا جَاءَ أَحَدٌ بِمِثْلِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ إِلَّا عُودِي » كما قال "ورقة بن نوفل" للرسول ﷺ في بداية بعثته، بل قال له: « يا ليتني فيها جذعاً، يا ليتني أكون حياً حين يخرجك قومك ».

(1) مسلم: كتاب الإيمان.

(2) البخاري: كتاب التوحيد.

(3) مسلم: كتاب الحج.

قال الرسول ﷺ: « أَوْمُخْرَجِيَّ هُمْ ۙ »

عداوة من أقرب الناس إليه وأعرفهم به ! وهم الذين لبثَ فيهم عمراً من قبل أن يُبعث، وقد أجمعوا على أنه (الصَّادِق) الذي لا يكذب، (الأمين) الذي لا يخون.

وقد تحقق ما قاله "ورقة" من عداوةٍ وصدٍّ، ومكرٍ وكيدٍ. ولم يقل "ورقة" ذلك من عند نفسه، بل بما عرفه من سنة الله في الأنبياء من قبل.

وإذا كنَّا نقرأ تفصيلاً ذلك كله في سيرة الرسول ﷺ - منذ بعثته، إلى أن لقي ربه - فإننا في حاجة ماسة أن نرى الرسول ﷺ في القرآن، ونرى القرآن فيه.

ولست أرى أن الهداية إلى الحق، وإلى طريقٍ مستقيم، تتم بغير اتباع هذا السبيل.

أن نرى الرسول في القرآن، ونرى القرآن فيه.

وذلك ما تضمنته الآية الكريمة:

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۗ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلَكْنَا وَلَا الْإِيمَانُ

وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا ۗ نَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۗ وَإِنَّكَ لَهْدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾

صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ (1)

(1) الشورى: ٥٢: ٥٣.